PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(4): 520-539
ISSN:1553-6939

The Structure of Narration and its Functions in Popular military expeditions texts: the case of Oued Sibsane military expedition

Radia Boubakri

Badji Mokhtar- Annaba University (Algeria), E-mail: radia.boubakri-khafif@univ-annaba.dz

Received: 04/2024, Published: 05/2024

Abstract:

Titled "*the Structure of Narration and its Functions in Popular military expeditions texts : the case of Oued Sibsane military expedition*," this study seeks to uncover the nature and the characteristics of narrative discourse in "Oued Sibsane military expedition." It sheds light on the characteristics of this structure and the methods of its construction in terms of words and structures. It also focuses on showing how its artistic construction impacted its addressees. The study equally emphasizes the different functions related to it. This research, thus, aims to determine the characteristics and the functions of the narrative structure in "Oued Sisbane military expedition" and the functions performed by this structure. To do so, the study aims to provide answers to the following questions: what are the characteristics of narrative discourse structure in Oued Sibsane military expedition? What functions are performed by this structure? To what extent does the story structure contribute to inform and impact? How does this operate? And is it possible to infer some embedded values in the story?

Keywords: structure; function; narration; popular military expeditions; impact.

بنية السرد ووظائفه في نصوص المغازي الشعبية: غزوة وادي السيسبان أنموذجا

راضية بوبكري

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: radia.boubakri-khafif@univ-annaba.dz

الملخص:

تسعى هذه الدراسة الموسومة بـ:"بنية السرد ووظائفه في نصوص المغازي الشعبية: غزوة وادي السيسبان أنموذجا" إلى الكشف عن طبيعة وخصائص بنية الخطاب السردي في "غزوة وادي السيسبان" وتسليط الضوء على خصائص هذه البنية وطرائق تشكيلها على مستوى الألفاظ والتراكيب، وكيف أسهم بناؤها الفني في التّأثير في المتلقي، كما سنحاول تسليط الضوء على مختلف الوظائف المتعلقة بها. ولذلك فإنّ هذا البحث يهدف إلى تحديد خصائص ووظائف البنية السردية في غزوة وادي السيسبان، من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية: ماهي خصائص بنية الخطاب السردي في غزوة وادي السيسبان؟ وما هي الوظائف التي تؤديها هذه البنية؟ إلى أي مدى تسهم بنية الحكاية في الإبلاغ والتأثير؟ وكيف يتمّ ذلك؟ وهل يمكن استنتاج بعض القِيَم المُضمَرة في الحكاية؟.

الكلمات المفتاحية: بنية، وظيفة، سرد، المغازي الشعبية، التّأثير.

مقدمة:

تندرج المغازي ضمن السير الشعبية العربية، وهي حكايات تستوحي أحداثها وأبطالها من التراث العربي، حيث تسعى من خلال شخصيات معروفة وذات مكانة مرموقة في التّاريخ، إلى بعث الأخلاق والقيم العربية، في قالب فني يتقاطع فيه الأسطوري والخرافي مع التاريخ والواقع والثقافة الشعبية، وهو ما يُنتج خطابا سرديا متميزا على مستوى البناء اللغوي والأحداث وتفاعل الشخصيات. ".. وتدلُّ السيرة على المستوى الجماعي على روايات الفروسيّة الشعبيّة والمغامرات، التي صيغت وتناقلها الرواة العرب المحترفون في الماضي القريب.. وتفرّدت السيرةُ بكونها تمثِّل بشكل فريد من نوعه الرواية الخياليّة في الأدب العربي في حقبة ما قبل الحداثة على غرار ألف ليلة وليلة"[1] وتعتبر المغازي الشعبيّة التي تتميز بالبعد العجائبي والأسطوري، غالبا، من أكثر السير والحكايات الشعبية انتشارا وتأثيرا في المجتمعات العربية. ومع أنها تبدو حكايات خرافية ترتكز على الخرافات والأساطير لتمرير أفكارها وتحقيق مقاصدها، والتأثير في المتلقي. إلّا أنّها ليست مجرّد حكايات للإمتاع والمؤانسة، بل إنَّ أهدافها المضمرة، في كثير من الأحيان، تربوية وتعليمية وتحفيزية وحماسية لاستنهاض الهمم، يستحضرها الجمهور المتلقي لبعث البطولات ولشحذ الهمم وتقوية العزائم، في سيّاقات مأزومة ومنهزمةٍ، يفتقد فيها المتلقّي إلى بطولاتٍ خياليَّةٍ يعوِّض بها ضعفه ويأسه وقلَّةِ حيلته أمام الواقع الانهزامي التّعيس الذي يعيشه بالملموس، وكأنّما لسان حاله يقول: إن لم يكن الانتصار في الواقع، فليكن في الخيال، أو في أحلام اليقظة، أو بالتعويض عن هزائم الواقع بانتصارات التاريخ الماضي المجيد، التي يضخِّمها ويزيدُ فيها من العجائبيّة ما شاء له الخيال، بغرض التعويض عن الواقع المأزوم والتنفيس عن مشاعر القهر والإحباط.

وتعتبر المغازي من أهم السير والحكايات الشعبية، لطبيعة سياقها التاريخي والحضاري الذي أوجدها، ونتيجة أيضا للأهداف التي أنتجت لأجلها، ونحن نعلم أن السير والحكايات الشعبية، مجهولة المؤلف فهي تنسب عادة إلى جماعة أنتجتها في سياقات خاصة، وتداولتها الأوساط الشعبية مشافهة في المقاهي والأسواق، ومجالس السمر. فالمشافهة كخاصية لازمت السيرة الشعبية وعلى رأسها المغازي، وجعلت المرسل فيها يتعدد، فالراوي الذي يقوم بسرد الأحداث أمام الجمهور المتلقي، وأثناء عملية الحكي، يضيف للحكاية ما يناسب سياق الحكي والجمهور المتلقي، وهو ما يجعل من المتلقي أو المروي له مشاركا أيضا في إنتاج الحكاية، لتصبح السيرة الشعبية ومنها الحكايات والمغازي، إبداعا جماعيا ناتجا عن عملية الحكي والتلقي والتفاعل الحاصل بين الراوي والمروي والمروى له. وهي خاصية قلما نجدها في غير هذا النوع من الحكايات الشعبية.

إن الطبيعة الشفوية للحكاية الشعبية، وطبيعة سياقاتها الحضارية والتاريخية والواقعية التي أنتجت فيها، تجعل خطابها السردي يتميز ببنائه الفني، وشكله اللغوي، ويتسم بخصائص تستجيب لمقاصده المعلنة والمضمرة، كما

أن للبعد الخيالي والعجائبي في هذه الحكايات أثرا أيضا في طريقة تشكيلها على مستوى البنية اللغوية والخطاب السردي. وعلى الرغم من تدوين هذه السير والحكايات الشعبية والمغازي، حيث تحولت إلى نصوص مكتوبة، إلا أنها بقيت محافظة على أهم سماتها السردية الأصلية وخصائصها الفنية التي اكتسبتها من المشافهة، بل إن ملامح طبيعتها الشفوية تظهر جلية وواضحة، وهي التي تكسبها تفردا وتميزا وخصوصية. كما أن السيرة الشعبية لا تتفرد من خلال شكلها وبنائها الفني فحسب، بل تتميز أيضا من خلال الوظائف التي يؤديها السرد داخل الحكاية نفسها، ومن خلال وظائف الحكاية داخل المجتمع وفي الأوساط الثقافية والشعبية التي تنتشر فيها.

أما فنِّيًا، فغالبًا ما "تعتمد السير على الأسلوب السردي الذي يرتكز على موضوع تاريخي يسهل التّعرّف عليه بوضوح، يزوِّد الرواية بعددٍ من الأحداث والشّخصيّات الأساسيّة أو الثّانويّة، كما أنّه يخصِّص مكانةً هامّةً للمغامرات الحربيّة، فيستحضر كلّ أسرار فنّ المسلسل الروائي النّموذجيّة: خطف، تنكُّر، انتحال الهويّة، خيانات شيطانيّة، أحداث مفاجئة متكرِّرة، وكل ذلك دون أي اهتمام بالواقعيّة.."[2]

سنحاول في هذه الدراسة الكشف عن خصائص البنية السردية لحكاية شعبية من المغازي والسير الشعبية، التي تروي سيرة الإمام علي رضي الله عنه في قالب عجائبي أسطوري، وهذه الغزوة معروفة باسم: غزوة وادي السيسبان. فماهي الخصائص البنيوية للسرد في هذه الحكاية؟ وما هي وظائفه؟ وماهي مقاصده؟ وأثره في تشكيل البناء الفني للحكاية، وكيف تؤثر في المتلقي؟

للإجابة على الأسئلة التي تطرحها الدراسة، سنحاول تحليل نص الحكاية تحليلا بنيويا، مستعينين بأليات بعض المناهج الأخرى المساعدة أثناء الحديث عن المقاصد والمرسل والمرسل إليه. .

وللإلمام بالموضوع سنتوقف عند العناصر التالية: سنُعرّف بداية بغزوة وادي السيسبان، ثم سنقف عند خصائص بنيتها السردية، ووظائفها، بالإضافة إلى الحديث عن الأبعاد العجائبية وكيف تجلت في الحكاية من خلال شخصية البطل (علي رضي الله عنه)، وكيف أسهم هذا البعد الأسطوري في تحديد البنية السردية للحكاية، والتأثير في المتلقي. وقد اعتمدنا في الدراسة على نص المحطوطة التي حققها محمد عقل، سنة 2011.[3]

1/غزوة وادي السيسبان:

غزوة وادي السيسبان قصة شعبية تنتمي إلى الموروث الشعبي العربي الإسلامي، ضمن ما يعرف بأدب المغازي الشعبي، الذي يحتفي بالانتصارات الإسلامية، وأبطالها الفاتحين، كما يتغنى بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعض الصحابة رضي الله عنهم، وعلى رأسهم علي بن أي طالب، وقد عكست هذه السير الشعبية والمغازي، والحكايات والقصص الشعبية، وجهة النظر الشعبية للتاريخ ووقائعه المختلفة، ففي "تراث الثقافة

العربية الإسلامية عدد هائل من الكتب التي حملت بين دفتيها مادة تراثية خالصة، تمثلت في الأساطير، والسير الشعبية، والحكاية الشعبية، والشعر والأزجال والألغاز وغيرها. وفي كل نمط من أنماط هذه الكتب التي حملت الموروث الشعبي العربي نجد نمطا من أنماط القراءة الشعبية للتاريخ"[4]، وهي قراءة تعكس فاعلية الجماعة في صنع التاريخ وتسجيله من منظورها الخاص، ما يجعل الموروث الشعبي يحمل "تفسيرات شعبية لأحداث تاريخية ويحكي عن أبطال تاريخيين من خلال الرؤية الشعبية التي تحمل من الخيال والرموز التي تخدم الأهداف الاجتماعية/الثقافية ما يجعلها تختلف عن أية قراءة أخرى لنفس الأحداث التاريخية"[5]، لأنها قراءة نابعة من الثقافة الشعبية، التي تعبر عن واقع هذه الشعوب وانتماءاتها الحقيقية، وتاريخها وأبطالها. وبعيدة كل البعد عن الثقافة العالمة والرسمية، التي تعمل على تجميل التاريخ وتزيينه.

إن غزوة وادي السيسبان باعتبارها نصا ينتمي إلى السيرة الشعبية، والموروثات العربية الإسلامية، تعد نوعا من أنواع الإبداع الشعبي "التلقائي للشعوب والجماعات، بما تتضمنه من الاعتقادات الشعبية أو العادات والتقاليد، أو الخرافات والحكايات التي تبرر سلوكا اجتماعيا أو نظاما أخلاقيا، أو ممارسة جماعية..." [6] ، ولقد أشار سعيد يقطين في كتابه (السرد العربي ، مفاهيم وتجليات)، إلى أن غزوة وادي السيسبان، تصنف ضمن ما يعرف بالمغازي والفتوح، وتنتمي "إلى نوع سردي محدد يجد خصوصيته في ارتهانه إلى مادة حكائية مستقاة من تاريخ المسلمين إبان الفتوحات الإسلامية، هذه المادة الحكائية المتشابهة في مختلف القصص المتصلة بالمغازي تم تشكيلها بطريقة يتجاوز فيها الواقعي والعجائبي سواء على مستوى الحدث أو الشخصية أو الزمان أو المكان، الشيء الذي يعني أن المتخيل العربي والإسلامي ساهم بشكل كبير في صياغتها وإنتاجها" [7]. وهو ما يبرر انتشار هذه القصص الحربية الدينية، في فترات تاريخية بعينها، وسياقات حضارية محددة. عبر كامل الأقطار العربية، ففي الجزائر كانت السير والمغازي والقصص الشعبية تنتشر بكثرة إبان فترة الاستعمار الفرنسي، بهدف استنهاض الهمم، والهوس الدائم بالبحث عن بطلٍ مُخلِّصٍ من قهر الاستعمار. واستمرّ ذلك بُعيد الاستقلال في الأسواق والمقاهي، وكانت السيرة الشعبية للإمام علي تتصدر هذه السير، وتصوره على أنه بطل خارِقٌ وله من الكرامات ما يجعله شخصيةً أسطوريةً مخلِّصة.

2/ملخص الحكاية:

" أخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بخروج ملك اسمه الغطريف من بلاد الكفر على رأس أربعمائة و أربعة وعشرين ألف فارس قاصدا المدينة المنورة ليأسره وعليا كرم الله وجهه ويقدمهما هدية للأميرة حسناء كي تقتلهما، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد فحضر جميع الصحابة ما عدا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لأن الأخير كان في بيت عمته عاتكة في مكة المكرمة، فلما أخذ النبي صلى الله

عليه وسلم يعقد للقادة الرايات بكى بكاء شديدا لعدم مشاركة الإمام علي في هذه الغزوة، وسارع في الخروج فلما التقى الجمعان في وادي السيسبان رجحت كفة الكفار فراح النبي صلى الله عليه وسلم ينادي الإمام عليا ويستغيث به والملائكة تنقل صوته إلى الإمام علي في مكة ، فلبى عليٌّ النداءَ وخرج قاصدا المدينة المنورة ليحضر أهله، فطويت له المسافات فوصل إلى وادي السيسبان في بضع ساعات، وهناك بارز عبدا للملك فقتله وهزم الكفار وشتت شملهم، فولوا هاربين، ودخل قسم كبير منهم في دين الإسلام[8]

3/الخاصية السردية: (خصائص البنية السردية لغزوة وادي السيسبان)

1/3 طلب السرد

يرتبط السرد بالحكي والقصّ، وهما فطرة إنسانية تتجلى في الإنسان وترتبط به أثناء ممارساته الاجتماعية المختلفة، وهو ما يجعل من السرد شكلا من أشكال المعرفة الإنسانية الموغلة في القدم، والساعية إلى تلبية احتياجات إنسانية، معرفية وثقافية وحضارية، حيث يسعى الإنسان من خلال السرد إلى إعادة تشكيل الواقع، كما يجب أن يكون، أو كما يريده أن يكون. فالإنسان يسعى إلى امتلاك العالم من خلال الحكي والقص، لأنه يحاول صنع واقع جديد يحقق فيه كل أحلامه، وهو ما يجعل الكثير من القصص والحكايات تلجأ إلى الأساطير والخرافات، لتضفي نوعا من العجائبية على الأبطال والأحداث المشكلة للنص السردي.

كما أن طبيعة السرد في نصوص السيرة الشعبية تتأسس على متن هو المروي، ومرسل هو الراوي، ومرسل إليه هو المروي له، وتشير بعض الدراسات إلى أن الاهتمام بالمروي له بدأ متأخرا مقارنة بالراوي "ومنذ أن صارت السرديات قادرة، وقابلة للانفتاح على علوم مجاورة بعد أن أكملت عدتها وذاتيتها، شرعت في استحضار مختلف القضايا " المؤجلة" مثل المروي له –المتلقي، وأصبحت مطروحة عليها بشكل ملح وضروري لتطورها واستمرارها"[9]، لأن وظيفة الحكي تتولد من خلال العلاقة التي تنشأ بين الراوي والمتلقي، قارئا كان أو مستمعا، عبر السرد المباشر باعتباره أساس الحكي والقص، وأيضا عبر التعليقات والشروحات المصاحبة لعملية الحكي.

تبنى النصوص السردية على طلب، يستدعي استعدادا من المتلقي لتلقي النص، والمشاركة الفاعلة، والتفاعل مع الراوي، والمتن. ومن هنا يصبح المتلقي فعالية وطرفا حاضرا فيما يسمى بآليات السرد. فالسرد العربي خاصة يركز على ضرورة حضور المتلقي حيث تتسم عملية تلقي جمهور القص للرواية بالإيجابية، فهو لا يكتفي بالاستقبال بل يعد طرفا مشاركا وفعالا في عملية التلقي[10]

ولا يخفى على القارئ أن طلب السرد خاصية أو معيارا من معايير الشفوية العربية، لأن جل النصوص السردية نشأت مشافهة وأغلب السير ذات الأصل العربي كانت تتداول مشافهة قبل أن تتحول إلى مدونات، ومنه فإن

عملية القراءة تسهم في بعث النص من جديد وفق جماليات تتفق مع ذوق كل عصر، مما يضفي على هاته النصوص صفة الخلود، ويمنحها استمراريتها وتأثيرها في الجمهور رغم أنها نصوص قديمة وموروثة، ومن هنا جاء الإلحاح على ضرورة التفاعل بين الراوي والمروي له، إذا كان النص شفويا، ويعاد تأليفه ساعة الأداء[11]، وتحت هذه الخاصية (الطلب)، تنضوي خاصية أخرى هي التحفيز الذي تعتمده بعض السّير الشّعبية، التي تعتمد على تكرار الطلب الذي يؤدي إلى تكرار الاستجابة، ومن هنا كان للتحفيز دور قوي من داخل القصص الشعبي باعتباره تقنية حديثة جدا في السّرد العربي. وطلب السرد يتم الإعلان عنه بطرائق عدة مثل : (حدثني، أخبرني...قال الراوي، قال صاحب الحديث، قال) والحديث هنا يجب أن يشتمل على موضوع وحكاية.، لكن "من أعرق الأدوات السردية وأشهرها بين السراد عبارة " قال الراوي" التي تشير إلى وجود حاجز زمني بين زمني الحكاية والحكي، لأن السارد يعود إلى الوراء ليحكي للمتلقين، ما يزعم أنه كان قد سمعه من الراوي، الذي لا يعد شخصا حقيقيا، ولكنه مجرد كائن ورقي يستظهر به السارد الشعبي لمنح إبداعه شيئا من الواقعية التاريخية التي كان السراد الشعبيون فيما يبدو، حراصا عليها، وإلا فإن عبارة (قال الراوي) لا تمثل في الحقيقة إلا (أنا) السردية، لا النفسية، فالذي أبدع الحكاية هو الذي أبدع معها عبارة (قال الراوي)" [12]

وإذا عدنا إلى نص غزوة وادي السيسبان موضوع الدراسة، وجدنا السارد يوظف عبارتين هما : قال الراوي/ قال صاحب الحديث. ولقد أشار محمد عقل، عند تحقيقة لمخطوطة معركة وادي السيسبان موضوع الدراسة إلى أن " سارد السيرة الشعبية على السامعين كان يسمى في مصر بالراوي، وفي المغرب بالمحدث وفي سوريا بالحكواتي. في مخطوطتنا (يقصد نص معركة وادي السيسبان) يستعمل التعبيران: " قال الراوي"، و" قال صاحب الحديث" بكثرة وبتفاوت ما يدل على أن هذه المخطوطة وصلت من شمال إفريقية إلى مصر ومنها إلى فلسطين. هذان التعبيران: استعملا لاستحضار الأذهان وشد انتباه السامعين ويدلان على أن المؤلف الأول مجهول رغم أن النص قد دون في فترة متقدمة"[13].

وقد تكررت عبارتا قال الراوي، وقال صاحب الحديث في الصفحات التالية من نص معركة وادي السيسبان:

الصفحة	المثال من النص
04	(قال الراوي: وكان خالد يتعجب بنفسه...)
06	(قال الراوي: ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل يده على صدره)
07	(قال الراوي: فنهض إلينا من وسط القوم الداهية والمصيبة العظمى أبو أمية عمرو بن أمية الضمري...)
08	(قال الراوي: ثم إن عمر أخذ الخبر وعاود به النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما قد جرى، وبما

	رُئِي في ذلك الوادي...)
12	(قال الراوي: فما كنت تسمع إلا ضجيج وصياح وهمهمة..)
12	(قال الراوي: فتفقد النبي صلى الله عليه وسلم فوجد قد قُتل منهم سبعمائة فارس..)
12	(قال الراوي: فعند ذلك طلع الإمام أبو بكر الصديق إلى النبي صلى الله عليه وسلم...)
13	(قال الراوي: فما أتم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه مع أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلا وأبواب السماء قد فتحت...)
13	(قال الراوي: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وإذا هو بخالد بن الوليد...)
13	(قال الراوي: فيا لها من ساعة طارت فيها الجماجم...)
14	(قال الراوي: فعند ذلك طلع الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه...)
14	(قال الراوي: عند ذلك كشف النبي صلى الله عليه وسلم عن الثغر الكريم...)
12	(قال صاحب الحديث: فعند ذلك اصطفت الصفوف، وجذبت السيوف، وظهر الخوف...)
16	(قال صاحب الحديث: كان الإمام علي كرم الله وجهه، في مكة في منزل عاتكة رضي الله عنها...)
17	(قال صاحب الحديث: إن عليا كرم الله وجهه طلع جبلا من جبال مكة...)
17	(قال صاحب الحديث: فأمر الله الجبال تطوى بقدرة الله تعالى...)

تعليق:

إن تكرار عبارة (قال الراوي/قال صاحب الحديث) بهذا الشكل اللافت، يجعل منها لازمة وظيفتها الأساسية التأثير ولفت انتباه السامع أو القارئ لما يقال، فهي تتكرر كلما أحس السارد أن السامع بدأ يشعر بالملل، وبدأ يبتعد عن جو الحكاية، فتأتي هذه العبارة لتعيده إليها. ثم إن استعمال عبارتين مختلفتين في نفس الحكاية ربما الهدف منه التنويع في وسائل السرد للأسباب التي ذكرناها، وليضفي السارد نوعا من المصداقية والواقعية على الحكاية.

2/3 الوضوح والإبلاغ

ومن خصائص النص السردي أيضا الوضوح والإبلاغ " حيث تقدم لنا المدونات الشعبية، القصص في لغة عربية سهلة"[14] تكشف مباشرة عن واقع خارجي ومادي محسوس يحيل على الحياة اليومية العادية، وإلى الإنسان في صراعه مع الحياة من أجل البقاء. .وهو ما نلمسه في غزوة وادي السيسبان، التي تصور لنا جانبا من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنه وأصحابه، في غزواتهم ومحاربتهم لقوى الشر والكفر، حيث يسرد الراوي تفاصيل الغزوة، وأحداثها وما دار بين شخصياتها من حوارات وسجالات، بلغة سهلة وواضحة ومفهومة، بل هي لغة أقرب إلى العامية منها إلى الفصاحة، لأن الحكاية الأصلية تنوقلت مشافهة وباللهجات

المحلية، ففي المغرب العربي مثلا كانت كل السير الشعبية وعلى رأسها المغازي لا سيما مغازي علي بن أبي طالب تتداول مشافهة، ولقد أشار الدكتور محمد عقل الذي أشرف على تحقيق مدونة الحكاية التي نشتغل عليها إلى أنه احتفظ فيها ببعض الكلمات العامية التي وجدها في المخطوط الأصلي، ففي تقديمه للحكاية قال: "حرصنا في التحقيق على تصويب الأخطاء الإملائية وهي كثيرة، وأبقينا بعض الكلمات على ما هي عليه بالعامية حتى يستمتع القارئ بالأداء الشفوي المباشر، وتذوق نكهته، ويتعرف على طريقة السرد أمام جمهور المتلقين في ذلك الزمان" [15]، فالغزوة كانت تروى في جميع الأوطان العربية مشافهة وبلهجات مختلفة حتى يستمتع المتلقي، سامعا كان أو قارئا، وينجذب إلى الأحداث ليتأثر بها ويتفاعل معها. فالتأثير لا يتحقق إلا إذا تحقق الفهم، والفهم لا يتحقق إلا إذا تم إبلاغ الرسالة بلغة متعارف عليها ومفهومة بين مستعمليها. وعندما تحولت هذه السير الشعبية إلى نصوص مكتوبة ومتون مدونة، بالعربية الفصيحة شأن غزوة وادي السيسبان الذي نشتغل عليه، حافظت على بساطة لغتها، وسهولتها، ووضوحها، لتحقيق مقاصدها وغاياتها، التي وضعت لأجلها، وهي التأثير في المتلقي، لإمتاعه من جهة، وللتغلب على شعور الضعف والنقص الذي كان يعيشه الإنسان العربي، في السياقات التي ظهرت فيها هذه السير الشعبية، من جهة أخرى. ولو كان هذا التغلّب على الشعور بالضعف عن طريق الخيال الذي يتغذّى على بطولات الماضي. وقد كانت السير الشعبية مليئة بالقيم التربوية التعليمية، والمواعظ، والنصح والإرشاد، وبالطبع ساعدت اللغة البسيطة على نقلها للمتلقين بمختلف شرائحهم ومستوياتهم. والأمثلة الدالة على بساطة اللغة في هذا النص كثيرة، بل إن كل التعابير والألفاظ المستعملة متداولة ولا تحتاج إلى جهد لفهمها، وهذه بعض الأمثلة من النص :

الصفحة	المثال من النص
05	(وكان خالد يتعجب بنفسه فنادى فقال: احسبوا أن عليا قد مات!)
05	(ثم أنه قد دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله أنا ألقى جميع الجيش ببركتك يا رسول الله!)
08	(والخيرات في ذلك الوادي فيه من الأثمار المختلفة ومن كل فاكهة)
09	(فلما أصبح الله بالصباح، وأضاء بنوره ولاح، وطلعت الشمس على روس البطاح)
17	(إن عليا كرم الله وجهه طلع جبلا من جبال مكة وقال: معاشر العرب! من لا يعرفني حتى أُعرّفه بنفسي!)
07	فنهض إلينا من وسط القوم الداهية والمصيبة العظمى [أبو] أمية عمر [و] بن أمية الضمري)
06	(أما فاطمة فلها بعل غائب، وأما الحسن والحسين فاستدعى بهم، ثم إنه أحضرهم بين يديه وقال: يا حسين! يا حسين! أوصيكم بهذه المدينة)
18	(التفت الإمام علي كرم الله وجهه إلى فاطمة وقال لها: خلّف رسول الله عندك شيئا من المركوب ؟)
19	(فإنها خيمة جدكما رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامكم ثم إن الإمام علي كرم الله وجهه اشتد في

	ظهر الجواد، وقد زعق على الجواد الزعقة المعروفة عند الغضب المشهور في قبائي العرب)

3/3 الإخفاء والتستر:

ونجد هذه الخاصية مجسدة بوضوح في السّير الشّعبيّة، فليس الغرض من بناء شخصية الإمام علي على هذا المنوال الأسطوري البطولي لأجل التسلية فقط، لأن شخصية البطل هنا تعمل على تجسيد النموذج الإنساني الذي يسمو للكمال من خلال ما يتمتع به من خصال مثالية تتعلق به نفوس المتلقين، إذ إنها تجد فيه المثل الأعلى وتجد فيه وفي أعماله البطولية إشباعا للحاجة، والموازنة النفسية بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون [16]، وهوما يظهر في هذه الحكاية (غزوة وادي السيسبان)، فتكرار عدد فرسان جيش الكفار، وإسلام وزير الملك الغطريف سرا قبل خروجه إلى المعركة يوحي بأن الحكاية لها مقاصد ومضامين خفية، وربما هذا التستر هدفه لفت الانتباه والتأثير في المتلقي قارئا كان أو مستمعا، لأجل الوقوف على المعاني والقيم المختلفة التي تتضمنها الحكاية. ثم إن تصوير الحكاية للدعاء وكأنه أداة سحرية، مساعدة للبطل حيث أنه يستجاب في ساعته، تحمل دلالات ضمنية كثيرة، وهي أن الله قريب من عباده الصالحين، المدافعين عن دينه، الناصرين للحق ضد الظلم والكفر، وكذلك تصوير البطل على أنه خارق ويمتلك صفات تتجاوز الإنسان العادي، فيها من العجائبية ما يجعلها ترقى إلى نموذج البطل الأسطوري المخلص، ولعل هذا التوظيف العجائبي الأسطوري له دلالاته الظاهرة والمضمرة الخفية وهي كلها تسعى للتأثير في المتلقي، ولفت انتباهه إلى ما هو ضمني يحتاج إلى إعمال للفكر. فالقيم التربوية التعليمية المتضمنة في السير الشعبية، ومنها غزوة وادي السيسبان، تحدد لنا الوظيفة الأساسية للقصص الشعبي، وأنها لم توضع للإمتاع والمؤانسة والتسلية التي تبدو أنها الوظيفة الأساسية لها. فهي تحمل ضمنيا رسائل سياسية ووطنية، وثقافية، وحضارية، في قالب فني يستهدف المتلقي للتأثير فيه، فقد كانت الغزوة نوعا من السلاح المعنوي لشحذ الهمم، مؤكدة أن الضعيف ينتصر على القوي بعون الله وبإيمانه، ففي مستوى السطح نلاحظ أن السرد يحمل رؤية ويعبر عن موقف. ومن أجل توصيل الرسالة يجب أن يحتال الراوي أو المرسل على متلقي السرد، أي لا بد من أن يمنح السرد بعدا أو وظيفة رمزية (للمتلقي) فمثلما في التسمية والمجاهرة من بلاغة ففي الإخفاء والتستر بلاغة أيضا.

سنحاول في هذا الجدول تحديد أهم القيم والمعاني الضمنية الظاهرة في القصة:

المعاني والقيم المضمرة	الأمثلة من النص مع التعليق
الأخوة: تظهر هذه القيمة عبر كامل النص، من خلال أفعال الشخصيات وأقوالها، وهي تحمل معاني المشاركة، والمصير الواحد، والعقيدة الواحدة، والتواضع، والمعاملة الطيبة.	–قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أخي جبريل كم يكون بيننا وبين ذلك الوادي) (ص3) –قال يا أخي جبريل أي كافة أقوى من هذه الكافة التي لم تبق في المدائن إلا الشيخ الضعيف. (ص5)

الاتحاد والتعاون وروح الجماعة وهي من القيم التي يحث عليها الدين الإسلامي، وترمي إلى بث روح التكافل بين أفراد المجتمع، وفيها دعوة غير مباشرة إلى الاتحاد والتعاون لدحر المستعمر، والقضاء عليه، لا سيما وأن هذه المغازي انتشرت في الوقت الذي كانت فيه الأقطار العربية تحت الاحتلال والاستعمار بأشكاله المختلفة.	–فارتقى بلال ووضع أصابعه في أذنه ونادى، وقال : يا خلق الله اركبوا للجهاد! وأذَّن فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أمر بهذا، وقال فعند ذلك استبقت القبائل على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص3) –وكان خالد يتعجب بنفسه فنادى فقال: احسبوا أن عليا قد مات! ثم أنه قد دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله أنا ألقى جميع الجيش ببركتك يا رسول الله (ص4/5) –فعند ذلك نهض خالد بن الوليد وركب الجواد وقال: أين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه؟ فأجابه بالتلبية، فقال له أنت كون على الجناح الأيمن، ثم نادى وقال: أين المقداد بن الأسود الكندي، فأجابه بالتلبية وقال له: يا سيد بني عباس كون أنت على الجناح الأيسر، ثم نادى وقال: أين الزبير بن العوام؟ فأجابه بالتلبية ، وقال له كون أنت أيضا على الجناح الأيسر (ص 11/ 12)
انتصار الخير على الباطل والإيمان على الكفر تؤطر هذه الحكاية ثنائية (الخير/الشر)، (الكفر/الإيمان)، (الحق/الباطل) وتتحكم في البنية السردية لنص الحكاية، فأغلب السير الشعبية ومنها المغازي، تصور لنا الصراع بين قوى الخير والإيمان متمثلة في الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، وقوى الشر والكفر، متمثلة في الكفار المعتدين. وفي ظل هذه الثنائية تتوالد الأحداث ويتأجج الصراع بين القوى المختلفة، ويتداخل العجائبي والأسطوري بالواقعي، ليكون النصر لصالح الخير والإيمان مقابل الشر والكفر. وربما في ذلك إشارة إلى أن النصر يكون دائما لأصحاب الحق والخيرين المؤمنين، وهي دعوة إلى الكفاح والنضال للانتصار على العدو.	–"وينصرك الله نصرا عزيزا" الفتح الآية/03 (ص3) – "وقاتلوا المشركين كافة" التوبة الآية/36. (ص 5) –فاعلموا أن الله قد وعدنا بالنصر عليهم (ص 7) –إن القاتل منكم والمقتول في الجنة (ص 13) –وإذا قُتل من الكفار ماية ألف فارس وثمانون (ص 13) –وكان من عادة الإمام علي كرم الله وجهه أن لا ينهزم (ص 23)
النصر ليس بالعدد بل بالإيمان بعدالة القضية يؤكد تاريخ المسلمين في غزواتهم على أن العبرة ليست بالعدد بل بقوة الإيمان، وعدالة القضية، وهو ما حاولت السير الشعبية ضمنيا إيصاله للمتلقي العربي، لشحذ الهمم وتقوية العزيمة لمقاومة الأعداء ودحرهم.	–كيف لا تبكي وهذه غزوة مشهورة بأربعمائة ألف وأربعة وعشرين ألف فارس. (ص4) –اعلم أن القوم الذين طاغين متجبرين قد اجتمعوا في أربعماية ألف فارس وأربعة وعشرين ألف فارس وما كفت هذه الكثرة حتى أتوا بالحريم (ص 5). –وفي ذلك الوادي ماية ألف وأربعة وعشرون ألف فارس

	قال الرسول صلى الله عليه وسلم: هذه غزاة تشيب منها الولدان ويلين لشدتها الحديد. (ص9/8) -برز من ذلك الوادي عسكر مثل الجراد (ص 9) -قال يا وزيري إني أرى شرذمة قليلة غير كثيرة، وأراهم قلائل (ص 10) -معاشر المسلمين كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله (ص 13)
الشجاعة تظهر الشجاعة كقيمة أخلاقية واجتماعية بقوة على مستوى أحداث الحكاية وشخصياتها (علي بن أبي طالب، خالد بن الوليد)، وعلى مستوى الألفاظ والتعابير، والتراكيب المختلفة الدالة على الشجاعة والإقدام، والبسالة، منذ بداية السرد حتى نهايته، من خلال الإضمار والتلميح أحيانا، وبطريقة واضحة جلية في أغلب الأحيان، وهي قيمة أخلاقية يهدف الراوي من خلالها إلى التأثير في المتلقي وتحفيزه.	-ونهض بطل عنيد، وفارس صنديد صاحب العمود الحديد خالد بن الوليد (ص4) -يا رسول الله أنا ألقى جميع الجيش ببركتك يا رسول الله (ص5) -يا حسن! يا حسين! أوصيكم بهذه المدينة. قالوا: يا جداه، يا رسول الله خذنا معك من جملة الحريم، نقاتل معك وبين يديك (ص6) -قال: فدنا العبد حتى وقف قدام الإمام علي كرم الله وجهه، فحمل الإمام علي عليه وشدّه بأذنيه فقلعهما من موضعهما (ص21/20)
الأمانة وهي من الخصال الحميدة في الدّين الإسلامي، حيث ورد ذكر ها في القرآن الكريم والحديث لنبوي الشريف في عدة مواضع، وهي صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لقب بالصادق الأمين، وهي قيمة تربوية تعليمية.	-قال النبي صلى الله عليه وسلم: أما فاطمة فلها بعل غائب، وأما الحسن والحسين فاستدعى بهم، ثم إنه أحضرهم بين يديه وقال: يا حسن! يا حسين! أوصيكم بهذه المدينة. قالوا: يا جداه، يا رسول الله خذنا معك من جملة الحريم، نقاتل معك وبين يديك. فقال: يا حبيبان، إن أباكما غائب وما كان لي أن آخذكما معي بغير إذنه. (ص6)
بث روح المقاومة يبدو جليا أن الغرض الضمني للحكاية هو التحفيز وشحذ الهمم وبث روح المقاومة، ويتم كل ذلك في السياق التاريخي الذي أنتجت فيه هذه الحكايات، ولقد أشرنا إلى أن ذيوع وانتشار هذا النوع من السير الشعبية والمغازي، كان في فترة عانت فيها جميع الأقطار العربية من ويلات الاستعمار، لذلك لم يكن الهدف الأساسي من هذه الحكايات هو الإمتاع والتسلية، بل تجاوز ذلك إلى أهداف	-فإن سبقوك إلى وادي السيسبان انتصروا عليك وإن سبقتهم انتصرت عليهم (ص3) -يا خلق الله اركبوا للجهاد (ص3) -وقاتلوا المشركين كافة (ص5) -كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله (ص 13)

سياسية واجتماعية ونفسيّة مختلفة. والحكاية من أولها إلى آخرها تحمل هذه القيمة التحفيزية، من خلال الأحداث والشخصيات، والتعابير المستعملة.	
الحرية والاستقرار عبّر النص عن تطلعات الإنسان العربي إلى مستقبل يحقق فيه أحلامه وطموحاته، وواقع يسوده النظام والحرية والاستقرار. تنتشر فيه القيم العادلة، وتغيب الفوضى والظلم والاستبداد.	وكان من عادة الإمام علي كرم الله وجهه أن لا ينهزم ولا يسبي حريما، والذي أسلم سلم (ص23)

4/3 **شحذ الهمم والتّعبئة وتقوية العزائم**

تتجلى خاصية شحذ الهمم والتّعبئة وتقوية العزائم، عبر كامل نص معركة وادي السيسبان، من خلال بناء النص ومعماره الفني، حيث نجد أن الألفاظ والتراكيب بأنواعها، والأحداث وطبيعة الشخصيات، وسيرورة السرد، كلها تتضافر لتؤدي وظيفة محورية وهي شحذ الهمم والتعبئة، وتقوية العزائم من أجل مواجهة الأخطار، ومحاربة الأعداء. فقد يبدو للوهلة الأولى أنه نص موجه للسمر و السهر والمؤانسة، لكنه في حقيقته يحمل مقاصد ضمنية تسعى للتأثير في المتلقي، لترسيخ فكرة المقاومة، ومحاربة المعتدين من الكفار وغيرهم. وقد عمل الرواة على نشر النصوص الشفوية السردية التي أهملتها الثقافة العالمة، من خلال الترويج لها ونشرها بين الأوساط الشعبية والعامة للمجتمع، أين أصبحت مرتبطة بمجالس الأنس والسمر، وهو ما ساعدها على البقاء والاستمرار لفترة طويلة تمارس تأثيرها الفاعل في المتلقي. وهو ما يجعلنا نعتقد أن هذه السرود الشفوية الأصل وعلى رأسها السيرة الشعبية عامة والمغازي خاصة كانت بمثابة الخطابات الحماسية الساعية إلى بث روح الشجاعة والقوة في المتلقين. ولقد استعانت السّيرة الشعبية بمجموعة من الوسائل اللغوية النصية وغير النصية لإبلاغ مضامينها، والتأثير في المتلقين، ولعل من أهم الأسباب التي ساعدتها على الانتشار الواسع، والتأثير القوي في المتلقين أنها نُسجت في أول ظهورها حول مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة ومن تبعه، حيث كانت هذه الشخصيات نموذجا يحتذى به في القوة والصبر والمقاومة، نتيجة أعمالها البطولية، التي أثرت في الشعوب العربية، لفترات من الزمن، حيث تحولت هذه المغازي والبطولات إلى زاد روحي للتّعبئة النّفسيّة وشحذ الهمم لمواجهة الأخطار ، وقد كانت أخبار هذه الوقائع المصدر الخصب والغني الذي اعتمدته السير الشعبية والمغازي خاصة لتكون مادة خاما تنسج حولها عوالم يتداخل فيها الواقع مع الخيال .

من المتعارف عليه أن بث روح العزيمة وشحذ الهمم لا يتم إلا عبر خطاب إقناعي قادر على التأثير في المتلقي، ولفت انتباهه إلى أهمية ما جاء في نص الحكاية وذلك لا يتم إلا عبر بنية الخطاب السردي للحكاية، لاسيما تقنيات السرد المختلفة كالزمن والحدث والحبكة والوصف والحوار، والشخصيات وغيرها، فكل هذه العناصر توظف بطريقة خاصة في السيرة الشعبية، وخاصة في المغازي، لتحقق غرض التأثير ولفت الانتباه. وكل ذلك يتم عبر لغة خاصة يسعى الراوي والسارد من خلالها إلى اللعب بالكلمات، أو اللعب باللغة من أجل التأثير في المتلقي لتقوية عزيمته. وهي وظيفة أساسية تسعى هذه الحكايات إلى تحقيقها إلى جانب الإمتاع والتسلية. وهو ما يتم توضيحه في العنصر الموالي:

5/3 التأثير والإقناع:

لقد تعددت وسائل التأثير والإقناع على مستوى بنية الخطاب السردي لغزوة وادي السيسبان، وتنوعت بين الوسائل اللغوية وغير اللغوية كما يلي:

1/5/3 الراوي: "ويغلب على هذه الحكاية نمط الراوي المفارق لمرويه وهو العارف المهيمن على نصه ، أي هو الراوي الذي ينطلق من الخلف، فخط سير العملية السردية يبدأ من الماضي ليمتد إلى الحاضر وعندما تصل الأحداث إلى الحاضر تنتهي السيرة ويتوقف السارد عن الحكي" [17]، أي أن هذا النوع من الرواة له سلطة مطلقة في التحكم في أحداث الحكاية، وطريقة سردها، واللغة المستعملة. والعودة بالمروي له إلى الزمن الماضي ، لإضفاء نوع من الواقعية على ما يرويه من أحداث. و من العبارات التي دلت على الراوي في هذه النص عبارة : (قال الراوي وتكررت أكثر من خمس عشرة مرة)، و عبارة (قال صاحب الحديث وتكررت حوالي أربع مرات).

2/5/3 المروي له: المروي له أو المتلقي سامعا أو قارئا، وهو غالبا ما يكون غير معروف ومتغير، وينتمي إلى طبقات اجتماعية وثقافية مختلفة، وهو أيضا أسهم في إنتاج هذه الحكايات عندما كانت تتداول مشافهة، من خلال تأويلها، وفك رموزها، عند تلقيها معتمدا على ثقافته ومعرفته الخاصة. وتعتمد قوة التأثير والقدرة على إثارة الحماسة عند المروي له، على المرجعيات و المعارف المشركة بين الراوي والمروي له، ليتحقق الفهم ومن ثم التأثير، ويبدو جليا في هذه الحكاية أن الراوي والمروي له ينتميان إلى الثقافة نفسها.

3/5/3 المروي: وهو المتن، أو نص غزوة وادي السيسبان وقد تميزت بنيته السردية بمايلي:

-**اللغة السهلة الواضحة والبسيطة:** تستعمل السيرة الشعبية لغة سهلة واضحة، ومتعارف عليها بين الراوي والمروي له، باعتبارهما ينتميان إلى الثقافة نفسها، ولعل بساطة اللغة في هذه الحكايات ترتبط بأصل نشأتها الشفوية، وانتشارها بين الأوساط الشعبية والعامة، واستمرت هذه الخاصية حتى بعد تدوين هذه السير الشعبية.

وخير مثال على ذلك نص معركة وادي السيسبان موضوع الدراسة، حيث وظف الراوي لغة بسيطة، استطاع من خلالها الإبلاغ وتحقيق الفهم والتواصل، ومن ثم تحقيق التأثير، وشحذ الهمم وتقوية العزائم، لأن إثارة الحماسة لا تكون إلا بلغة مشتركة بين الراوي والمروي له، ومن الأمثلة على ذلك نذكر ما يلي: (قال الراوي: فنهض إلينا من وسط القوم الداهية والمصيبة العظمى (أبو) أمية عمر (و) بن أمية الضمري) (ص 7)، (قال: فالتفت الملك إلى الوزير وقال: يا وزيري، مالي أراك توصف فيهم كأنك منهم وربيت معهم!) (ص 11)، وغيرها من التراكيب المباشرة والواضحة والسهلة.

– **التكرار**: بأنواعه المختلفة : (لفظي، وحرفي، ودلالي) والتكرار هو الإتيان باللفظ أو المعنى، أو التركيب أكثر من مرة ، لأغراض كثيرة منها التوكيد، والتنبيه، والتحذير، والتذكير، وتعظيم الأمر، والتهويل، وإبراز المعنى، ولفت الانتباه إلى أهمية ما يقال، وغيرها، ويبدو التكرار واضحا وجليا في نص المعركة، حيث اعتمده الراوي وسيلة للفت انتباه المروي له، ومن الأمثلة على ذلك في النص نذكر: تكرار عبارة: قال الراوي، قال صاحب الحديث، عدد فرسان جيش الكفار، النبي صلى الله عليه وسلم، وادي السيسبان، المسلمون، الرايات، الملك، الوزير، علي كرم الله وجهه، خالد بن الوليد، الرجال، الأبطال، الخيل، السيوف، النصر..

– **الإكثار من الأساليب الإنشائية** خاصة:

النداء: نلاحظ الحضور القوي للنداء بأساليب مختلفة ومتنوعة، لتنبيه المتلقي، وحمله على الالتفات، وتكرار النداء فيه تأكيد على أهمية القول وخطورته، والرغبة في التأثير في المتلقي. الأمثلة من النص: (يا أخي جبريل، يا محمد، يا بلال، يا خلق الله، يا قنبر، يا قرة عيني وكنيتي، يا رسول الله، يا رسول الله، يا أخي جبريل، يا معشر المسلمين، يا حسن! يا حسين!، يا جداه، يا رسول الله، يا حبيبان، يا قوم، يا وزيري، أيها الملك، أيها الملك، يا وزيري، أيها الملك، يا وزيري، ثم نادى وقال، ثم نادى وقال، يا رسول الله، يا محمد، معاشر المسلمين، يا رسول الله، يا رسول الله، يا علي، يا منصور من السماء، يا علي، يا بعل فاطمة الزهراء، يا علي الرضي، يا عمتي، يا ولدي، يا عمتي، معاشر العرب، يا أبتي، يا أبتي، يا حبيبنا، يا فاطمة، يا فاطمة، يا حسن، يا حسين، ونادى إلاهي وسيدي ومولاي، يا وزيري، يا وزيري، يا عبدي كندار، يا فتى، يا ابن الزنا، يا عبد، يا مولاي، يا كندار، يا فتى، يا ملعون).

الأمر: احتوت الجملة الأمرية على أفعال تحمل كلها معنى الأمر الصريح الذي يراد به الامتثال للطلب، والالتزام به، وهي تفيد الترغيب في الفعل خاصة الأفعال الواردة على صيغة افعل. وقد أفاد الأمر في هذه الحكاية الطلب المباشر والصريح. ولقد أسهمت الأفعال الأمرية في خلق جو من الحيوية والحركية، على مستوى

نص الحكاية، ليتحول النص إلى فضاء خصب تتفاعل فيه الشخصيات، مع الأحداث، والراوي مع المروي له، وهو ما يسهم في لفت انتباه المروي له، والتأثير فيه. وهذه بعض الأمثلة من النص: (انطق ونادي، ايتني، فليأت، كون، كون، كون، اقرأ، فليجيء، أخبريني، ايتني، ساعدوني، إنده، امض، أُدن، ارجع، قل، اطلب)، وقد جاء الأمر بالصيغة وباللام، (افعل، وليفعل)،

الاستفهام: وهو طلب الفهم، وقد أسهمت الجملة الاستفهامية في تنشيط حركة السرد، وتفعيل الحوار الفاعل بين الشخصيات، مما جعل الاستفهام يتميز بقوة التأثير والإيحاء. الأمثلة من النص: (كم يكون بيننا وبين ذلك الوادي؟ ما أقرأ؟ من فيكم يمضي إلى وادي السيسبان، أين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه؟ ، كيف طابت نفسك تخرج إلى هذه الغزاة وعلي بن أبي طالب ما هو حاضر معك؟ مالك صحت هذه الصيحة؟ وما الذي رأيته؟ ما بكّاكم؟ أين أخبرك أبوك يلتقي الجيش؟ أين كنت بالأمس؟ أين كنت بالأمس؟).

– **الدعاء:** يحمل الدعاء معنى التضرع إلى الله سبحانه وتعالى، لتسهيل بعض الأمور الدنيوية وتيسيرها، وقد كان في هذه الحكاية بمثابة الأداة السحرية المساعدة للأبطال في حربهم ضد الملك الغطريف. الأمثلة من النص (إلاهي وسيدي ومولاي هؤلاء عبادك يسيرون، ويدينون على دينك، إلاهي ما على الأرض يوحدك ويقر لك بكلمة التوحيد إلا هذه القبيلة، إلاهي بالسر الذي بيني وبينك أن تنجدني بعلي بن أبي طالب) (ص 15/14)، (إلاهي وسيدي ومولاي أسألك بسر صاحب هذا الهودج سيد العالمين، وبحق هذين الطفلين سيدي شباب أهل الجنة أن تطوي لنا الأرض وتقرب لنا البعيد، وتهون علينا كل أمر صعيب وشديد) (ص 18)

– **البعد العجائبي في الحكاية** : تحاول السير الشعبية، ومنها المغازي، العدول عن الواقع بتوظيفها للعجائبية، لتنقل المتلقي من المباشر إلى ما هو مضمر وخفي، يحتاج إلى متلقٍّ خاصٍّ، يفهمه ويفك شفراته، ومنه فإن التاريخ في السير والمغازي، ليس وقائعا حدثت في الماضي، وإنما هي رؤية مستقبلية لما يجب أن يكون. وتظهر الخاصية الخيالية هنا، في مجموعة من الخوارق المتعلقة بالبطل علي بن أبي طالب، وبأفعاله، بالإضافة إلى بعض الأفعال التي نسبت في النص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، و حواراته المتكررة مع جبريل، الذي يصعد إلى السماء بعد كل لقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم. (قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أخي جبريل كم يكون بيننا وبين ذلك الوادي؟) (ص 3)، (ثم عرج جبريل إلى السماء) (ص 3)، (قال: عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الرحيل وإذا بالأمين جبريل قد نزل من عند رب العالمين، وقال السلام عليك يا رسول الله، ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام...) (ص 5)، (قال : يا أخي جبريل أي كافة أقوى من هذه الكافة؟) (ص5)، (فلما فرغ النبي من دعائه إلا وأبواب السماء قد فتحت والأنوار قد تشعشعت وجبريل عليه السلام قد نزل من عند رب العالمين...) (ص15)، (وقال: نادي لعلي "يا علي" ثلاثة أصوات فقد

أذن الله تعالى للملائكة الموكلين بالهواء أن يأخذوا صوت النبي ويلقوه في أذن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويكون هذه الساعة عندك، نادى يا علي يا منصور....) (ص15)، (استوى علي جالسا وهو يقول لبيك وأنا أصل إليك، فأمر اله الجبال تطوى بقدرة الله تعالى، والأرض تنطوي تحت حوافر الجواد بقدرة الله، فما مضت ساعة إلا والإمام قد وصل المدينة "قادما من مكة" ...) (ص 17/16) (قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها : وعزة ربي لقد رأيت الناقة فرّت بين السماء والأرض فما كان دون يوم إلا ونحن أشرفنا على وادي السيسبان..) (ص18)، (فحمل الإمام علي عليه وشد بأذنيه فقلعهما من موضعهما...وضرب العبد بالسيف على رأسه وأخرج السيف من بين فخذيه). (ص 21)

تُصنف هذه الحكاية (غزوة وادي السيسبان) ضمن أدب المغازي القائم على الخيال والأسطورة، و تظهر الخاصية الخيالية والعجائبية في هذه الغزوة عبر مجموعة من الخوارق، خاصّةً عندما يتعلّق الأمر بالبطل (علي)، كما يسعى أدب المغازي إلى المزج بين الواقع والخيال، والتاريخ والأسطورة، ومحاولة جعل أحداث الغزوات والحكايات الشعبية تبدو حقيقية، وذلك بذكر أسماء الشخصيات، وتوظيف شخصيات حقيقية لها قيمتها الرمزيّة في المجتمع وفي الواقع وفي المخيال الجمعي، وربط كل ذلك بالحكاية، والإشارة إلى الأحداث التي وقعت فعلا، ومكان حدوثها وزمانه. وهو ما نجده متجليا في غزوة وادي السيسبان، عندما ذكر الراوي مكان المعركة، وبعض المدن المعروفة مثل مكة والمدينة، وعائلة الإمام علي (فاطمة، والحسن ، والحسين، وعمته عاتكة) والصحابة (أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وبلال، وغيرهم) والمسافات (بين المدينة ووادي السيسبان، وبين مكة والمدينة) وغيرها. كل ذلك للإيهام بواقعيّة الأحداث وتاريخيتها، وهذا البعد التاريخي الذي تحاول الحكاية توظيفه لتضفي شرعية على أحداثها، يعد ستارا ظاهرا يخفي خلفه عالما آخر من الخوارق والعجائب والرموز والقيم.

<u>– الشخصيات ومكانتهاالاجتماعية و طبيعتها الدينية :</u>

تنتظم شخصيات الحكاية في مجموعتين مختلفتين، ومتناقضتين، شكلتا البنية العامة لنص معركة وادي السيسبان، كما تولدت عن هذا التباين والاختلاف بين الشخصيات ثنائية (الخير والشر) و(الكفر والإيمان)، حيث تؤطر هاتان الثنائيتان كل نصوص المغازي. ففي المجموعة الأولى نجد الشخصيات العربية الإسلامية، وعلى رأسها الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة عمر وأبو بكر، وعلي، وخالد بن الوليد، وفاطمة، والحسن والحسين، وعاتكة، رضي الله عنهم وجبريل، والوزير المسلم وغيرهم، وفي المجموعة الثانية نجد: الملك الغطريف ، العبدان الأسودان، وغيرهم.

إن نسج الحكاية وربطها بالشخصيات الدينية له أثره الفاعل في المتلقي، لا سيما وأن هذه الشخصيات لها مكانتها ومنزلتها المرموقة عند المسلمين، فالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، هم القدوة والمثل الأعلى في الأخلاق الفاضلة والكريمة، فكيف لا يتأثر المتلقي بهذه الشخصيات، خاصة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الخلق، وخير الأنام. وكان توظيف هذه الشخصيات واقعيا باستثناء شخصية علي بن أبي طالب التي أضفت الحكاية عليها بعدا عجائبيا، وصورته بطلا أسطوريا مخلِّصًا، وهو ما من شأنه التأثير في المتلقي.

<u>شخصية البطل المُخلِّص في نص معركة وادي السسبان</u>: (شخصية الإمام علي**) [18]:**

تحيلنا شخصية البطل المخلص التي تُتداول كثيرا في السير الشعبية والقصص والحكايات الشعبية والمغازي تحديدا على ما يعرف بأسطورة المخلص التي "انبثقت من عمق إحساس الإنسان الأول بمحدودية إمكانياته، وعجزه عن مجابهة مختلف الأخطار والأزمات والكوارث الكونية الكبرى، التي ما انفكت تتهدد حياته ووجوده، كما انبثقت أيضا من عمق إحساس هذا الإنسان بالعجز والقلق أمام الأسئلة الوجودية الكبرى، المتعلقة بالموت والمصير بعد الموت، وغيرها من الأسئلة التي ما انفكت تتهدد استقراره النفسي وتوازنه الفكري، وتقلق اطمئنانه الروحي دون أن يمتلك ما يواجهها به، سوى هذا الخيال الجبار الجامح"[19]. وهو ما يؤكد أن توظيف الخيال والعجائبية في السيرة الشعبية والمغازي، ليس عفويا، بل له أسبابه ومبرراته التّحفيزيّة والتّعبويّة.

يتحول الإمام علي_داخل هذه البنية العجائبية إلى شخصية خارقة، تمتلك قوة بدنية وروحية هائلة، فهو يستطيع بضربة من سيفه قتل المئات من الفرسان، وحصد رؤوس الآلاف من الجنود (فانثنى عليه الإمام علي كرم الله وجهه وضرب العبد بالسيف على رأسه أخرج السيف من بين فخذيه) (ص 21) ، (وكان من عادة الإمام علي كرم الله وجهه أن لا ينهزم) (ص 23) ، (فحمل الإمام علي عليه وشده بأذنيه فقلعهما من موضعهما، وقال له: يا عبد كنت أمس في مكة واليوم أتيت منها) (ص21) .(فالإمام علي) في السيرة الشعبية والمغازي، تحول إلى بطل أسطوري مخلّص ومنقذ، أو شخصية نموذجية مثالية يجب أن يُقتدى بها. وتحولت كل الأدوات التي يستعملها إلى أشياء خارقة ومقدسة مثل سيفه وحصانه، وحتى الناقة التي نقلته إلى وادي السيسبان ليست ناقة عادية، (قال الراوي: قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها: وعزة ربي لقد رأيت الناقة فرّت بين السماء والأرض فما كان دون يوم إلا ونحن قد أشرفنا على واد السيسبان بعد صلاة العصر..) (ص18) بالإضافة إلى شخصية البطل علي الخارقة، تظهر أيضا مجموعة من القوى المساعدة له، مثل الأدعية والملائكة، والآيات القرآنية، وهي بمثابة الأدوات السحرية التي ساعدته على هزيمة الكفار وترجيح كفة المعركة لصالح جيش المسلمين.

خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1-يمكن القول أن السيرة الشعبيّة، ومنها المغازي الشعبيّة، تُمثّل بشكل جيد، الروايةَ الخَيَاليّةَ في الأدب العربي، في حقبة ما قبل الحداثة، كما ذهب إلى ذلك النّاقد جمال الدين بن شيخ

2-ترتبط المغازي، مثل باقي السير الشعبية، بالثقافة الشعبية للمجتمع، حيث تسعى هذه الثقافة الشعبيّة إلى تصوير التاريخ ونقله من وجهة نظرها.

3-ليست المغازي، سوى صناعةٌ شعبيّة حالمة للتّاريخ، أيّ أنه استدعاء ثانٍ للتّاريخ وفق ما تتطلّع إليه الجماهير التي تحيط بها الهزائم من كل الجهات.

4-في المغازي الشعبيّة، تسعى السّرديّةُ الشعبيّةُ إلى التّنفيس، من خلال إعادة بعث أبطال التّاريخ في حلّة أسطوريّة خارقة، والتّغنّي بالانتصارات التاريخيّة الماضية بعد تغذيتها بكثير من الخيال والعجائبيّة، وذلك من أجل التّعويض عن الهزائم اليوميّة وغياب الأبطال في الواقع.

5-إنّ أيَّ تحليل للمغازي الشعبيّة، يعتبر قراءةٌ شعبيّة للتّاريخ بعيون العصر الذي تُتداوَل فيه هذه السيرة.

6- تنتمي المغازي الشعبية إلى السرود الشفوية مما أضفى عليها خصوصية على مستوى بنائها السردي والفني.

7- تستعمل المغازي الشعبيّة، مثلما هو الحال في غزوة وادي السيسبان، لغة سهلة وواضحة، ومتعارف عليها بين الراوي والمروي له، إذ أنهما ينتميان إلى الثقافة نفسها.

8- تعمد المغازي الشعبية إلى الإضمار في أحيان كثيرة، لأغراض تتعلق بالتأثير في المتلقي، وجعله يشارك في إنتاج الحكاية الشعبية من خلال فك شفراتها، والبحث عن المضمرات فيها.

9- تحتوي المغازي الشعبية على الكثير من القيم التربوية والأخلاقية، والوعظية الإرشادية المضمرة أحيانا، والمعلنة أحيانا أخرى.

10- تتجاوز وظيفة السرد في المغازي الشعبية الإمتاع والتسلية، إلى وظائف أخرى أبرزها شحذ الهمم وتقوية العزائم، والتّعبئة، والتأثير في المتلقين، سواءً أكانوا قراء أم مستمعين.

11- توظف المغازي الشعبية مجموعة من الخصائص اللغوية لتحقيق التأثير في المروي له من بينها: الإكثار من الأساليب الإنشائية، التكرار، توظيف البعد العجائبي والأسطوري، توظيف شخصية البطل المخلص....

12- تحاول المغازي من خلال مزجها بين الواقع والتاريخ والخيال والأسطورة، بناء خطاب سردي تحفيزي، تعبوي، يسعى إلى بث روح المقاومة، وبناء مجتمع قوي، تسوده المثل العليا. حيث ارتبط ظهور المغازي الشعبية بفترة تاريخية كانت فيها كل الأقطار العربية تحت وطأة الاستعمار، فكانت هذه المغازي، على غرار مختلف السير الشعبيّة، بمثابة المتنفس، والتعويض عن الضعف والعجز الذي كانت تشعر به الشعوب العربية. لذلك فالمغازي الشعبية لم تنقل ما حدث فعلا، وإنما حاولت تصوير الواقع كما يتطلّع إليه المستضعفون، أو كما يجب أن يكون.

13- تعتمد المغازي استراتيجية لغوية خاصة للتأثير في المتلقي، كاستعمال النداء، والاستفهام، والنفي، والنهي، والدعاء، والقسم، وهي أساليب لغوية، تعمل على إضفاء نوع من الحوارية والفاعلية على مستوى النص، لأنها تستحضر المتلقي وتحاوره، لتلفت انتباهه لما يقال، وللتأكيد على أهميته، وهذه الحركية والدينامية المتحققة على مستوى البنية السردية للحكاية أو الغزوة من شأنها أن تجذب المتلقي، وتجعله يمعن النظر في مضمون الغزوة ومعانيها المضمرة، ومقاصدها المختلفة.

---

[1] – جمال الدين بن شيخ، معجم آداب اللغة العربية والأدب الفرانكفوني المغاربي، ترجمة د.مصباح الصمد، كلمة ومجد المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ضبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط1، 2009، ص 279.

[2] – المرجع نفسه، ص 280

[3] – ملاحظة: تجدر الإشارة إلى أننا اشتغلنا على مدونة : (غزوة وادي السيسبان ، مخطوطة من الأدب الشعبي) تقديم وتحقيق د. محمد عقل، سنة 2011، منشورات إي–كتب. ولقد أشار محمد عقل أثناء تقديمه للمخطوطة إلى أنها تحتوي على إحدى وعشرين صفحة يضاف إليها صفحتان مفقودتان، كما أن صفحة العنوان مفقودة، وتعرف عليها من الصفحة الأخيرة.

[4] – قاسم عبده قاسم، إعادة قراءة التاريخ، وزارة الإعلام –مجلة العربي، الكويت، ط1، 2009، ص 28.

[5] – المرجع نفسه، ص 21.

[6] – المرجع نفسه، ص 22.

[7] – سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012، ص 236.

[8] – غزوة وادي السيسبان، مخطوطة من الأدب الشعبي، تقديم وتحقيق: محمد عقل، عرعرة قضاء حيفا، تشرين الثاني، نوفمبر 2011، ص 5/4.

[9] – سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، مرجع سابق، ص 232.

[10] – ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص48.

[11] – ينظر: المرجع نفسه ص 48.

[12] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، 1998، ص 150.

[13] – غزوة وادي السيسبان، مخطوطة من الأدب الشعبي، تقديم وتحقيق: محمد عقل، ص 4.

[14] – عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، مرجع سابق، ص74.

[15] – غزوة وادي السيسبان، مخطوطة من الأدب الشعبي، تقديم وتحقيق: محمد عقل، التقديم، ص 5.

[16] – ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، مرجع سابق، ص 91.

[17] – صالح جديد، بنية السرد في السيرة الشعبية العربية، مجلة الإنسان والمجال، مجلد 03، عدد 06، أكتوبر 2017، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير البيض، الجزائر، ص 9.

[18] – "علي بن أبي طالب رضي الله عنه –واسم أبي طالب عبد مناف– بن عبد المطلب– واسمه شيبة– بن هاشم واسمه عمرو، بن غبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضْر بن كنانة، أبو الحسن، وأبو تراب، كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا قد أسلمت وهاجرت. وعلي –رضي الله عنه– أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهادهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم"وردت أحاديث كثيرة في فضله منها:

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه، أخرجه الحاكم.

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدكون ليلتهم (أي يخوضون ويتحدثون) أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يُعطَاها فقال:أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشاكي عَيْنَيْه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه، ودعا الله، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية... ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، 1988، ص200/199/197

[19] – عبد الحليم مخالفة، تجليات أسطورة المخلص وتقنيات توظيفها في الشعر العربي المعاصر–دراسة نقدية أسطورية– ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، تخصص أدب معاصر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي محتار –عنابة، 2023/2022. المقدمة ، ص (أ).